واذا اقتفينا سيرورة المجتمع البرجوازي عثرنا فيها على مقولات أدبية موائمة ، « البطل الايجابي » الممكن في بدايات الثورة البرجوازية ، و « البطل الايجابي » المستحيل في زمن تفجر التناقضات ، كما نجد ايضا ـ وفق منطق لوكاش ـ الادب المنحط الذي يعبر عن انحطاط المجتمع البرجوازي في فترة معينة من مساره ، و « تحلل الشكل الروائي » المرتبط جدليا بتحلل المجتمع المنتج له • لهذا ، فان قراءة سيرورة المجتمع البرجوازي تسمح لنا بقراءة سيرورة البنيان الروائي • وسوف نستعرض بايجاز شديد نقاط هذه السيرورة ، وسنتوقف فقط عند مقولة الواقعية الاشتراكية ، ففي تصور لوكاش لهذه المقولة تنعكس حدود « نظريته » وحدود ماركسيته في ايجابيتها ومحدوديتها :

١ ـ **الرواية في طور الولادة** : وتوائم مرحلة صعود المجتمع البرجوازي • وفي هذه المرحلة قاد الروائيون نضالا ثنائي البعد : ضد قيود مجتمع العصور الوسطى الذي يلغي ذاتية الفرد ، وضد « شرور » المجتمع البرجوازي التي بدأت تتكشف منذ لحظة الولادة ، وقد تميزت الرواية في هذا الطور بنزوع الى الخيال والغرابة دون ان تفقد الصلة بالمادة الاجتماعية التي تمنحها حقيقتها •

٢ ـ **غزو الواقع اليومي** : ويوائم الفترة التي اصبحت فيها البرجوازية طبقة سائدة اقتصاديا ، والتي ناضلت فيها باسم قيم كونية دافعة مسار التاريخ الى الامام لتخلق مجتمعا جديدا بعلاقات جديدة • وفي زمان الصعود التاريخي هذا وجد « البطل الايجابي » البرجوازي مكانا له • وتراجعت في هذه الفترة نزوعات الغرابة والتخيل لتلبث اكثر الى الواقع المادي المباشر •

٣ ـ **شعر «المملكة الحيوانية الروحية»** : ويتوافق مع مرحلة جديدة من تحولات المجتمع البرجوازي ، حيث بدأت المثل البرجوازية بالتراجع ، وبدأ وهم البطولة الفردية يتلاشى ، وظهرت استحالة التصالح الكامل بين الفرد والمجتمع • وأمام عالم المثل المنهارة تراجع « الروائي » الى الوراء باحثا عن الحل في ذاتية مفرطة ، ورأت النور النزعة الرومانسية التي تعبر عن « انا » قلقة ترفض الحاضر وتناجي احلاما ماضوية • وفي اطار الرفض والانا هجر « الكاتب » واقعه وهما ،فشكل رفضه للواقع لم يكن الا تكريسا له وتكريسا للانا الواهمة • لكن حركة الواقع التناقضية لم تبارك الانا في منفاها الرومانسي ، فمارس « الكاتب » رومانسيته ورسم الواقع بمنطق أناه الرومانسية • وبعد ضياع البطل ـ المثال بحث الروائي في عالم كتابته عن بطل ايجابي جديد ينكر عالمه المعاش ويعيش ذاتيته المنتفخة • الا ان منطق الوهم لا يساوق منطق الواقع ، فالكاتب عندما كان يرسم ذاتيته ويرفض العالم كان يرسم العلاقة المادية التي تحدد تناقض الفرد والمجتمع ، أي كان ينتج فنيا نسيج العلاقات الاجتماعية المسيطرة التي تحمي « ذاتية »الفرد واوهام اناه (بلزاك)•

٤ ـ **الواقعية الجديدة وانحلال الشكل الروائي** : مع تفاقم تناقضات المجتمع الرأسمالي ودخول الطبقة العاملة الى حلبة التاريخ (١٨٤٨) وصل الوضع التاريخي للرواية الى مرحلة جديدة • لم يعد الروائي يعيش عالم المثل الكسيرة بل اصبح يعيش اهتزاز العالم الذي « أضاع » مثله • فترك كهفه الرومانسي وعاد بوعي او بلا وعي الى الحياة اليومية من جديد يعاينها بوعية البرجوازي المهزوز ، ويحاول ان يخلق صورة يقول فيها «الحقيقة»• اراد الروائي ان يحكي الحقيقة في مجتمع اضاع حقيقته ، وعندما تضيع الحقيقة ويفقد الجوهري ، يفقد المركز مركزه ، ويصبح هامشا • لذلك لم يبحث الروائي عن الحقيقة في المركز بل بحث عنها في الهامش ، فاستبدل النمطي بالعارض ، والمتحرك بالجامد ،